قصر سان جيمس

مرَّ بالقارىء في غير هذا المكان شيء عن قصر « ڤرسايل » كتبناه بمناسبة الجمعية التي عُقدت فيهِ لانتخاب رئيس الجمهورية الفرنسوية . ورأينا بمناسبة اجتماع المندوبين العثمانيين والبلقانيين في قصر « سان جيمس » بلندن ان ننشر كلمةً عن هذا القصر كتبها خصيصاً لمجلة « الزهور » كاتبٌ اديبٌ فاضل زاره في العام الماضي قال :

سرْ كيفما شئت في شوارع عاصمة الانجليز ، لا تجد فيها من عظمة البناء ما تشاهده في غيرها من عواصم الغرب . وما ذلك الاَّ لأن الانجليز أبعد الناس عن الابّهة الظاهرة ، وأشدهم تمسكاً بالعظمة الحقيقية . فاذا نظرت الى قصور ملوكهم لا تجدها تمتاز بشيءٍ من فخامة البناء التي تمتاز بها صروح اللوڤر وڤرسايل والتويلري ؛ ولكنك اذا دخلت اليها وقفت عندها حاسر الرأس خاشع الطرف ، مما يتمثل لك من عظمة الملك ورفعة السؤدد

ولعلَّ الانجليز أحرص الناس على آثار ملوكهم ، وقصور عظمائهم . والعبرة عندهم بما وقع في تلك القصور من الحوادث التاريخية الخطيرة . ولذلك تراهم ينظرون الى قصر « سان جيمس » مثلاً ، فتطربهم ذكرى ما وقع فيه وطرأ عليه

مررتُ بهذا القصر لاوَّل مرة ، فوجدته ذا منظر حقير من الخارج ، حتى ظننتني واقفاً أمام بيت رجل من طبقة العامة . ولولا صديق لي

كان معي ولفت نظري اليهِ ما صدّقت أنني واقف أمام قصر من أعظم قصور الانجليز

بني هذا القصر في عهد الملك هنري الثامن الذي اتخذه مسكناً له . الا أن ملوك انجلترا الذين جاءوا بعده لم يتخـذوه مقرّاً خاصاً حتى عهد الملك وليم الثالث . ويظهر أنه لم يبقَ اليوم من بنائه الأصلي الا آثار قليلة ، فان ناراً هائلة التهمت معظمه في سنة ١٨٠٩ ، فدمرت جناحه الشرقي . ثم أُعيد بناؤه بالنسق الذي هو عليهِ اليوم . اما الدخول اليـه فيقتضي طلب اذن خاص الا في بعض المواسم التي يعرض فيها الجيش في فنـاء القصر اذ يستطيع الزائرون الدخول الى الباحة الكبرى ليشاهدوا حفلة العرض

ولهذا القصر تاريخ يترنح له الانجليز ويطربون لذكراه . فان اسمه مقرونٌ عندهم بذكر ملوك وملكات وساسة وعظماء تركوا بعدهم ذكراً مجيداً . فهو القصر الذي سكنه الملك هنري الثامن وادورد السادس والملكة اليصابات . واليه لجأت الملكة ماري عند غياب زوجها ، وأقامت به حتى وفاتها . وكان هذا القصر مقرّ الملك شارلس في أهنإ أيام ملكه ، وفيه ولد معظم أولاده . ولما حُكِم عليـه بالموت صلّى صلاته الاخيرة في البيعة التي في داخله ، ثم خرج منها واجتاز في حديقتهِ محاطاً بثلـةٍ من من الجند الذين اقتادوه الى المشنقة كما هو معروف عند دارسي التاريخ . وقد ودّعهُ اولاده في ذلك اليوم وداعاً اتخذه كثيرون من الرسّامين موضوعاً تفنّنوا بهِ وأبدعوا ما شاء لهم الفنّ . وكان القائد مونك الشهير

يعقد موآمراتهِ السياسية في هذا الصرح ويسمى لاعادة الملك المخلوع . وفيـهِ ايضاً وُلد البرنس جيمس فردرك ادورد الذي كان مطالباً بعرش انجلترا . وكان البعض يعتقدون انهُ لم يكن ابناً شرعياً بل نقل الى غرفة امهِ الملكة بطريقة الخداع . ومن أدلتهم على ذلك ان السرير الذي وُجد فيهِ الطفل مقمطاً كان الى مؤخرة الدَّرَج التي في داخل القصر بعيـداً جداً عن أمهِ . على ان هذا الزعم لم يبقَ من يؤيدُه اليوم في انجلترا

ومن الحوادث الخطيرة التي وقعت في هذا القصر ان الملك جيمس الثاني نام فيهِ في الليلة التي سبقت تتويجهُ . ومن هناك هرب ولم يرجع الى انجلترا قط . ولما جاء وليم اورنج اتخذه مقرًّا له ريثما يستتب له العرش . وبلغ قصر سان جيمس ذروة شهرتهِ على عهد الملكة حنة وزوجها ؛ فانهُ اصبح منذ ذلك الحين مركزاً لسائر الحفلات والمقابلات الرسمية . وسكن فيهِ جورج الاول والثاني والثالث والرابع . ولما جاء وليم الرابع اتخذه هو والملكة ادلائيد مقرًّا لهما ؛ وأقاما فيهِ كثيراً من الحفلات الرسمية ؛ الاَّ ان شمس سعده آذنت بالافول عند ارتقاء الملكة ڤيكتوريا الى العرش فانها أهملتهُ ووقفتهُ على بعض الحفلات الرسمية فقط . وربما كان آخر الحفلات التي جرت فيهِ حفلة اليمين التي أقسمها المرحوم الملك ادورد السابع عند ارتقائهِ العرش ، ثم حفلة اجتماع المندوبين الاتراك بمندوبي البلقان للبحث في شروط الصلح كما يعلم القراء

س . ع .